الشخصية

استراتيجياتها «نظرياتها» وتطبيقاتها الإكلينيكية والتربوية
«الشخصية والعلاج النفسي»

ترجمة وتعريب
الدكتور محمد قاسم عبد الله

دكتوراه في الصحة النفسية وعلم النفس الإكلينيكي
مدرس علم النفس والصحة النفسية
وكيل كلية التربية في جامعة حلب
عضو الجمعية الأوربية لعلم نفس الشخصية

دار الكتبي

obeikandl.com

obeikandl.com

الطبعة الثانية
1430هـ - 2009

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

obeikandl.com

obeikandl.com

الباب الأول

مقدمة introduction

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مسائل في دراسة الشخصية .

١ ـ مقدمة .

٢ ـ الغرض من دراسة الشخصية .

٣ ـ مفهوم الشخصية .

٤ ـ نظرية الشخصية .

٥ ـ تقويم الشخصية (تشخيصها وقياسها) .

٦ ـ أهمية البحث التجريبي في الشخصية .

٧ ـ تغير الشخصية وعلاجها .

obeikandl.com

obeikandl.com

مسائل في دراسة الشخصية

١ ـ مقدمة

لقد استخدم الممثل في العهد الإغريقي ، القناع عندما كان يؤدي دوراً ما. فالقناع persona هو مصدر وأصل الكلمة الإنكليزية personality أي الشخصية. ونحن نستخدم المصطلح اليوم ليدل على النموذج الثابت للاتجاهات والسلوك.

يُظهر الناس أفعالاً فردية مميزة ، تساعد في تمييزهم وتفردهم. فمن أين أتت هذه الخصائص والتنظيمات السلوكية؟ وهل هي دائماً خصائص فردية حقيقية؟ أم هي مجرد تجمع مميز لخصائص عامَّة الناس؟ ثم هل هي مكتسبة ، فطرية أم الاثنان معاً؟ وهل يمكن للشخصية أن تتغير؟ إذا كان الجواب بالإيجاب ، فكيف يكون ذلك؟.

هذه الأسئلة وكثيرة غيرها ، شغلت المفكرين والعلماء منذ زمن طويل وفي مختلف الميادين العلمية. ونحن نريد أن نعرِّف بالدراسة النفسية للشخصية. سوف يركز هذا المؤلَّف على البحوث التجريبية لفهم أنفسنا والآخرين ، وخاصة التقنيات الرئيسية المعتمدة في فهم وتشكيل السلوك الإنساني ، إن دراسة الشخصية كغيرها من المواضيع العلمية بحاجة إلى استراتيجية أو طريقة بحث ، وكل الطرائق أو الاتجاهات التي سوف نناقشها تدخل ضمن واحدة من الاتجاهات الاستراتيجية الأربعة التالية: التحليلية النفسية psychoanalytic strategy ، الظاهراتية phehomenological ، السمات والأنماط traits

and types ، والسلوكية behavioral .

الاستراتيجية (التقنية والاتجاه) كما نستخدمها هنا تضم أربعة جوانب رئيسية سوف نتوسع فيها :

١ ـ نظرية الشخصية personality - theory .

٢ ـ طريقة التقويم والتشخيص assessment and diagnosis .

٣ ـ أداة البحث (منهج البحث) المعتمد في كل منها من أجل اختبار الفرضيات والنتائج المنبثقة عن النظرية ذاتها . methodology .

٤ ـ طريقة تغيير الشخصية وعلاجها pensonality change or psychotherapy (تطبيقاتها العلاجية) .

٢ ـ الغرض من دراسة الشخصية

يُعتبر علم النفس الحديث ميداناً واسعاً مقارنة بغيره من فروع العلوم الأخرى ، فعلم النفس الاجتماعي يهتم بشكل رئيسي بدراسة العلاقات والتفاعل الاجتماعي ، الاتجاهات وتغيرها ، تأثير القوى الاجتماعية على الأفراد . . . إلخ بينما يهتم علم النفس النمائي التطوري بتطور السلوك وذلك بتأثير عاملي التنشئة الاجتماعية والنضج منذ الولادة وحتى نهاية الحياة ، ويهتم علم النفس المرضي بدراسة الاضطرابات النفسية والعقلية وعواملها وكيفية نشأتها وأعراضها . أما علم النفس الإكلينيكي السريري فهو الميدان التطبيقي لعلم النفس حيث يستخدم المبادىء والقوانين العلمية النفسية في تشخيص وعلاج الاضطرابات السلوكية . في حين يدرس علم النفس التجريبي مظاهر فردية للعضوية مثل الإحساس والإدراك ، والتعلم ، والتذكر ، والانفعال . وعلم النفس المعرفي يركز على طريقة تفكيرنا ومعالجتنا للمعلومات وكيفية اختزالها واستعمالها .

وفي كل الأحوال فإن دراسة الشخصية هي مركز تقاطع والتقاء كل هذه

الفروع مجتمعةً. إن علم نفس الشخصية ، يدرس المظاهر الوظيفية للفرد جميعها (يدرس الإنسان ككل ـ باعتباره وحدة متكاملة) ، وذلك لأن كل فرد يكون متأثراً بالعمليات الرئيسية الأخرى التي يدرسها ، مثلاً ، علم النفس التجريبي (إدراك ـ انفعال ـ تذكر . . .) والاجتماعية التي يدرسها علم النفس الاجتماعي (معايير الجماعة ـ الثقافة . . .) وفي نفس الوقت فإن علم نفس الشخصية يزودنا بالأساس النظري والتجريبي لفهم علم النفس المرضي والعلاجي.

٣ ـ مفهوم الشخصية
the concept of personality

هناك تعريفات عديدة للشخصية والحقيقة أن كثرة التعريفات ترجع إلى كثرة الاتجاهات العلمية والاستراتيجية approaches and strategys التي يتبعها علماء نفس الشخصية ، فكلٌ يعرِّف الشخصية استناداً إلى نظريته أو موقفه النظري ، وبسبب ذلك الاختلاف فإنه من الصعب البحث عن «تعريف» «definition» لها. ولكي نفهم ماذا يقصد علماء النفس بـ «الشخصية» علينا أن نفحص ونتفهم اتجاهاتهم النظرية ، وعليه فالتعريف يختلف باختلاف النظرية.

١ ـ المظاهر الذاتية مقابل الموضوعية opjective v subjective aspects لقد اعتقد الفلاسفة أن معرفتنا بالآخرين حولنا مقتصرة على ما نلاحظه من سلوكهم ، وأنه لا يمكننا ملاحظة تجاربهم الذاتية أي معرفة ما بداخلهم مباشرة.

وهكذا فإننا نقول: إن أحمد سعيدٌ ومبتهج لأنه يبتسم ويقول النكات ولكننا بذلك نتحدث عن سلوكه الظاهر ، وليس بالضرورة عن حالته الخاصة الداخلية التي يعيشها. فعلماء علم النفس السلوكي يشددون على الاهتمام بدراسة السلوك المُلاحظ أكثر من الحالة الداخلية الذاتية ، وأن

الدراسة العلمية للشخصية هي فحص المعلومات الموضوعية وكذلك الاستجابات الملحوظة. بينما يركز بعضهم الآخر على دراسة الخبرة الذاتية أيضاً. إن أحمد مبتهج وسعيد وربما هو كذلك كما يشعر داخلياً. ولكن سوزان التي تبدو متأكدة من ذاتها ، ورزان ربما عندها حالة خوف وعدم ثقه بقدرتها وكفاءتها كشخص. من هنا فإننا نقول عموماً: إن السلوك قد لا يعكس الشخصية الحقيقية للفرد. فأيُّ اتجاه هو الأصح ؟ في الحقيقة إن ذلك يعتمد على تعريفنا للشخصية بالدرجة الأولى وهي النقطة الأولية التي لا يتفق عليها علماء علم نفس الشخصية.

٢ ـ الشخص مقابل الموقف the person v the situation إلى أيّ مدى يتميز شعور الناس وتفكيرهم بالثبات في المواقف والأوضاع المختلفة؟ نحن غالباً ما نسمع وصفاً مثل «مصطفى هادىء» أو «محمود غير مسؤول ولا مبالٍ» فالناس هنا يتحدثون عن صفات أو خصائص مثلها مثل لون العينين اللتين تتميزان أنهما حقيقة غير قابلة للتغيير . في الواقع ، الشخصية ليست ثابتة كصفات العينين فربما يكون مصطفى هادئاً في موقف معين ولكن نلاحظه يتحدث بصراحة وبكثرة عن لعبه وهواياته لجمع الطوابع. ومحمود الذي يبدو أنه لا يتحمل المسؤولية ربما يحتفظ بحذر شديد ببعض مزايا رفاقه في الصف ، إن تعريفات الشخصية ونظرياتها ربما تختلف بطريقة نظرتنا لثبات السلوك أو عدم ثباته في المواقف أو الأوقات المختلفة. وبعض المنظِّرين للشخصية لا يولي أهمية لعدم ثبات السلوك وبعضهم الآخر يشدد على ذلك.

٣ ـ أهداف علم نفس الشخصية : التنبؤ ، الضبط ، الفهم.

وحين يتفق علماء نفس الشخصية على الأهداف العلمية لدراستهم السلوك وخصوصاً لعمليتي التحكم control والتنبؤ prediction بالسلوك ، إلا أنهم يختلفون في معنى الفهم understanding راجع القسم الأول من الأصل صفحة /٦/ لاستدراك النقص وأخيراً تُعْتَبر مصدراً

لبحوث جديدة to generate new rescarchs.

٤ - **البناءات**: أو التراكيب النظرية في الشخصية: إن المفاهيم الأساسية والأبنية الافتراضية للنظرية هي تركيبها أو بناؤها النظري theoretical consqtruct فالطاقة هي بناء نظري في الفيزياء ، والأكسدة هي بناء نظري في الكيمياء ، والانتخاب الطبيعي بناء نظري في البيولوجية وقد استخدم علماء الشخصية أبنية نظرية تساعدنا في تنظيم الظاهرة المدروسة. ففي الشكل(١) يتبين لنا مدى فائدة مصطلح «القلق» كبناء نظري ، حيث يتجمع حوله عدد من النتائج والملاحظات العلمية.

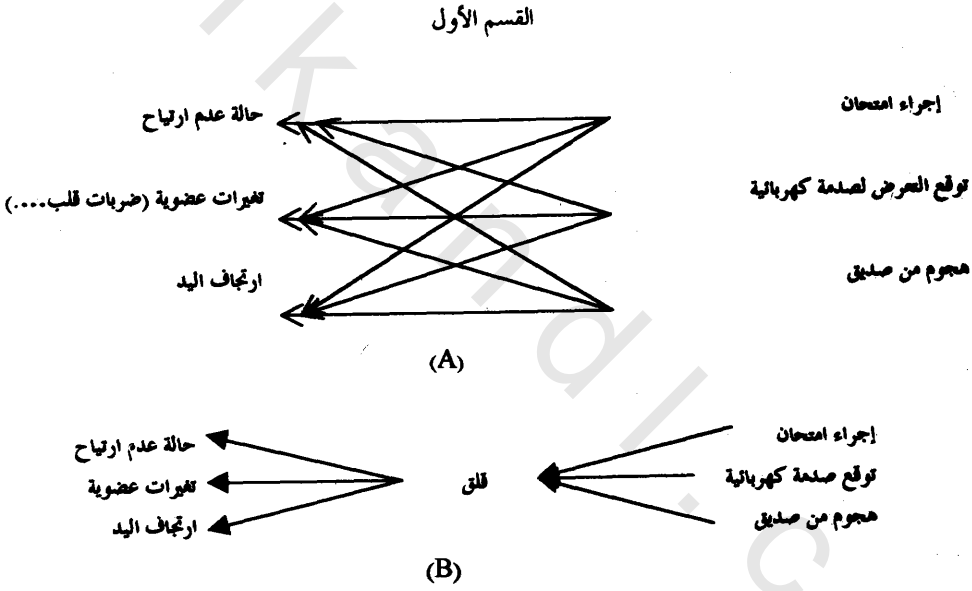

الشكل ١ : يوضح فائدة استخدام مفهوم القلق (كبناء نظري) أجري في ثلاثة مواقف مختلفة (B) ويبين العلاقات بين الظواهر بدون وجود مفهوم رابط بينها (A).

وهكذا فإننا نجد في الشكل الأدنى (B) أنّ هناك ثلاثة أوضاع أو

مواقف (إجراء امتحان ، توقع التعرض لصدمة كهربائية ، وموقف هجوم من صديق) ، وثلاث نتائج مترافقة معها على التوالي (حالة انزعاج شخصي ، تغيرات عضوية مثل ضربات القلب ، وارتجاف اليد) ، وأن مفهوم (بناء نظري افتراضي) وحيد وهو القلق anxiety قد وحَّد هذه الملاحظات الثلاث ونتائجها المرافقة وهكذا فإن هذه الطريقة توفر كثيراً وتساعدنا في الفهم والتوضيح والتفسير أكثر من مجرد وصف العلاقات المنفصلة بدون أي مفهوم نظري علمي يوحِّدها وينسِّقها كما هو في الشكل الأعلى (A).

ب ـ تعديل النظرية: إن النظرية هي افتراضات حول طبيعة الظاهرة المدروسة ومن خلال الملاحظات الواقعية (للأفعال) يتم وضع النظريات ، والنظريات ليست أفعالاً وسلوكياتٍ. إن النظرية ليست صحيحة أو خاطئة ، إنها قد تكون أكثر أو أقل فائدة استناداً إلى أهدافها وغاياتها التطبيقية. إن التعديل في النظرية ليس المعيار الوحيد المقبول لتقييمها.

إن هناك عدداً من المعايير الضرورية لتقييم نظريات الشخصية وهي: صدقها ، اقتصاديتها ، شموليتها ، ثباتها الداخلي ، قابليتها للقياس ، فائدتها وإمكانية استعمالها وتطبيقها ، وأخيراً إمكانية قبولها وموافقتها. فالصدق validity يتم من خلال ما تقدمه الملاحظات العلمية من تأييد وإثبات للنظرية.

والاقتصادية أو الوفرة parsimony تشير إلى أنه ، كلما كانت الشروحات والافتراضات قليلة وبسيطة كانت النظرية أفضل.

أما الشمولية فتشير إلى مدى استيعاب النظرية وشمولها للظواهر المدروسة.

والثبات الداخلي internal consistency: هو درجة ثبات واتساق الفرضيات المتضمنة في النظرية بشكل منسجم.

وقابليتها للقياس أو الاختبار testability هي كيفية دعم النظرية بشكل جيد وسهل ، وكل النظريات لا يمكن قياسها مباشرة وإنما من خلال التعريف الواضح لمفاهيم النظرية ، لذلك يجب تحديد الفَرضيات بشكل واضح ودقيق وإجرائي .

أما فائدتها وإمكانية استعمالها usefulness فتبدو من خلال تقييم التطبيقات الخاصة بقياس الشخصية وتقويمها وتشخيصها .

أما إمكانية قبولها والموافقة عليها acceptability فشرط ضروري للنظرية أن تكون (مقبولةً) ومتفقاً عليها من قبل العلماء حتى تكون قابلة للاختبار وبالتالي للتطبيق والاستعمال .

٥ ـ تقويم الشخصية (قياسها وتشخيصها)

personality assessment

بعد خمس سنوات من تأسيس وليم فونت لمخبر علم النفس في جامعة ليبزغ . توجه فرنسيس غالتون لتقويم السلوك وقياسه ، وقد اقترح عدداً من المقاييس التي يمكن استخدامها من قبل المعلمين والأصدقاء ، أو الملاحظات المباشرة للشخص في الأوضاع والمواقف الاجتماعية . إن علماء نفس الشخصية يستعملون حالياً طرائق وتقنيات عديدة :

أ ـ تقرير الذات self - report :

ويتضمن المقابلات والاستبيانات واختبارات الشخصية . ومن المعروف أنك إذا أردت أن تعرف شيئاً عن شخص ما ، فيمكنك أن تسأله مباشرة . وهذا ما يحدث في تقنية المقابلة والاستبيان . وقد استخدمت هذه الطرائق بشكل واسع في دراسة الشخصية ، بسبب ميزتها في الحصول على معلومات عن الفرد بسرعة . وفي بعض الأحيان تكون المعلومات التي تم الحصول عليها غير صادقة أو غير دقيقة ، ففي هذه الحالة يمكن

استخدام الطرق غير المباشرة كما هي الحال في طريقة الاختبارات الإسقاطية.

ب ـ الملاحظة المباشرة للسلوك: direct observation of behavior:

وتعتمد على ملاحظة سلوك الفرد في المواقف الواقعية مباشرة. هذه المواقف قد تكون طبيعية أو مصطنعة. والملاحظة الطبيعية أكثر وثوقية وقدرة على التنبؤ بالسلوك من المقابلات والاستبيانات.

ج ـ انطباع الآخرين عن الفرد impression of others:

لقد اقترح عالم الاجتماع كوفمان (١٩٥٩) أن الشخصية تتضمن جانبين: كيف نُظهر أنفسنا ونعبر عن ذواتنا؟ وكيفية انطباع الآخرين عنا؟ والجانب الأخير أعني كيف نبدو بمنظار الآخرين؟ (أصدقاء ـ أسرة ـ معلمين...) يعتبر جزءاً هاماً في تكوين شخصياتنا (وتحديد من نكون who we are) وهؤلاء الآخرون يلاحظوننا في مواقف عديدة وفي أوقات مختلفة. وتستخدم هذه الطريقة في علم النفس المرضي لدراسة الشخصية المضطربة والسلوك الشاذ.

د ـ التاريخ الشخصي للفرد وتقارير عن حياته: personal historeis:

ويتم التركيز هنا على المعلومات الخاصة بالفرد وحياته السابقة: تربوياً ومهنياً، وصحياً، واجتماعياً. وهذه المعلومات من السهل الحصول عليها موضوعياً كما تتم في تقارير المدرسين في المدرسة.

هـ ـ التقويم المزيف للشخصية: bogus pexsohality assessment إن الطرائق السابقة كلها تتم من قبل الباحث وعالم النفس عن الشخص. ولكن هناك طريقة أخرى، وهي تقويم الفرد لسلوكه بحيث يكون هو موضوع تقويم وقياس لشخصيته وهو المقوِّم أيضاً. والمبرر الذي تستند إليه هذه الطريقة هي أنه في الطرائق السابقة كلها، يعرف المفحوص

(الشخص) أنه يقوّم ، وقد تتأثر المعلومات الناتجة باعتقاداته ويعطي فقط بعض المعلومات والحقائق ويخفي الأخرى أو يوجهها وجهة أخرى ، بينما في هذه الطريقة تقدم معلومات مزيدة ودقيقة عن حقيقة شخصية الفرد وذاته.

٦ ـ أهمية البحث (منهج البحث) في الاستراتيجية
the importance of research

إن طرائق دراسة الشخصية كانت تتم بصورة عقلانية ذاتية من قبل الفلاسفة وقبل أن يستقل علم النفس عن الفلسفة. أما الآن فإن طريقة البحث هي الطريقة التجريبية (بأنواعها المختلفة) وهي محاولات منظمة تتم بطرق واستراتيجيات واضحة للحصول على معلومات يمكن أن يُعاد بحثها وتكرارها من قبل آخرين. وباستخدام هذه التقنية يتم الوصول إلى صدق النظرية وثباتها. وسوف ندرس في فصل لاحق طرائق ثلاث: التجريبية ، والترابطية ، وطريقة دراسة الحالة.

٧ ـ تغيُّر الشخصية والعلاج النفسي
persohality change and psychotherapy

إن المجال الرابع الذي يتوجه إليه علماء نفس الشخصية بالبحث والدراسة هو تغير الشخصية وعلاجها (بعد النظرية ، التقويم والتشخيص ، والبحث) وهو ما سوف نهتم به ونركز عليه في كل استراتيجية يضمها هذا الكتاب. والتغير المقصود له معنيان:

١ ـ التغير الطبيعي للشخصية والذي يتم عبر مراحل النمو المختلفة مع الزمن.

٢ ـ والتغيرات المنظمة المقصودة والموجهة التي تحدث في عملية

العلاج النفسي عندما تنشأ مشكلات معينة.

والتغيرات الطبيعية (نمو الشخصية personality development) سنوضحها عند شرحنا ومناقشتنا للنظريات (نظريات الشخصية واستراتيجياتها الرئيسية الأربع التي ذكرناها والتي هي موضوع المؤلَّف: التحليلية النفسية، الظاهراتية. السمات والأنماط، والسلوكية، وسوف نقصر استعمال مصطلح تغير الشخصية personality change هنا على المعنى الثاني وهو التغير المقصود أي المرادف للعلاج النفسي psychotherapy.

إن ما يميز علماء نفس الشخصية عن علماء نفس الشواذ والاضطرابات النفسية هو أن الأوليين يبحثون في الشخصية السوية (الطبيعية). ومع أن الشخصية السوية والشاذة تكون متداخلة وذات علاقة وثيقة، فإنهم يبحثون في الاثنين معاً ومع العلم أن العديد من علماء نفس الشخصية قد بدؤوا عملهم في مجال العلاج النفسي كعياديين، فإن نظرياتهم قد نشأت من خلال عملهم الإكلينيكي وملاحظاتهم لمرضاهم. حيث توصلوا إلى معلومات دقيقة ساعدت في فهمنا للشخصية الإنسانية بشكل عام. وأخيراً فإن تغير الشخصية يحتل مكانة هامة وفريدة في علم نفس الشخصية، باعتباره التطبيق العملي ذا المعنى لنظرية الشخصية.

* * *